

(١٣)

وقال القائد العام غاضباً..
لا تلعبوا مع الجيش يا إخوان!

obeikandi.com

يدرك الحفيد وربما للمرة الأولى كم كانت جماعة الإخوان كاذبة تعلن غير ما تبطن وحاوالت تشويه السيسى بعد أن كشف نواياها السيئة.. ولكن المعركة لم تتوقف عند هذا الحد كما يقول الجد الذى يواصل حكايته فيقول: لقد رأيت جماعة الإخوان أن السيسى تمرد عليها.. وكان يكفيه أن يصمت ويتمتع بمزايا منصبه كوزير للدفاع.. لكن الوقت قد فات وبات التحدى واضحا.

بالطبع لا، فقد رأوا فيه متمردا ومصرأ على أن يعلن استقلاله عن جماعتهم، وكان يمكن له أن يصمت تماما، لكنه لم يترك أى فرصة ليؤكد تحديه للجماعة ولرئيسها إلا وانتهزها. وهنا نشير إلى واقعه أخرى ليست دليلا على تحدى السيسى فقط للإخوان، ولكن على جرأته البالغه فى مواجهتهم، كانت الجماعة قد كثفت الشائعات التى تشير إلى أن محمد مرسى على وشك حسم قراره بإقالة الفريق عبد الفتاح السيسى، وبرغم أن الأمر لم يخرج عن كونه مجرد شائعة فإن السيسى تعامل معها بجدية شديدة، وكان الرد هذه المرة عبر مصدر عسكري صرح لبعض الصحف دون أن يفصح عن هويته.

كان التصريح الأول: الجيش لن يسمح بتكرار سيناريو خروج المشير طنطاوى والفريق سامى عنان مع الفريق أول عبد الفتاح السيسى.

وكان التصريح الثانى: المساس بقيادة القوات المسلحة خلال الفترة الراهنة سيكون أشبه بحالة انتحار للنظام السياسى القائم بأكمله.

لم تكن هذه تصريحات لمصدر عسكري عابر، بل كانت غضبة من السيسى شخصيا، أعلن فيها أن العبث مع الجيش وقيادات القوات المسلحة ليس له رد إلا نهاية النظام القائم.. لأنه بذلك يقدم على الانتحار، ولأن محمد مرسى أدرك أن الغضبة حقيقية فقد تراجع على الفور، وخرج يمتدح الفريق السيسى ويثنى عليه.

وتتواصل جولات المعركة بين الطرفين، حيث تكمن السيسى من نسج علاقات مع مختلف شرائح المجتمع، الناس البسطاء والفنانين والمثقفين والسياسيين والشباب ونجح فى إعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء فى قواتهم المسلحة والمؤسسة العسكرية، وللمرة الأولى يتم دعوة مثقفين وفنانين وإعلاميين وصحفيين لحضور مناورات القوات المسلحة وتكررت الدعوات واللقاءات ما أدى إلى خلق البيئة والأرضية المناسبة لما يسعى إليه السيسى فى مواجهة مخططات الإخوان المسلمين بدأ السيسى يسحب البساط من تحت أقدام الجماعة

ورئيسها وصار اسمه على كل لسان وخرجت دعوات ومطالبات وحملات لتوكيل السيى لإدارة شئون البلاد فى ظل عجز مرسى وغبى شعبى متصاعد من سياساته وقراراته وممارسات جماعته وحلفائها ومع النزيف الحاد المتوالى يومياً لشعبية محمد مرسى كانت شعبية السيى تنمو وتتضاعف حتى صار هو المنقذ عند ملايين المصريين من مختلف الفئات والشرائح كما أحبط السيى العديد من مؤامرات الإخوان على مصر وعلى الجيش ولم ينفذ قرار الرئيس محمد مرسى القائد الأعلى للقوات المسلحة بنزول القوات المسلحة إلى مدن القناة الثلاث تنفيذ لحظر التجول وحالة الطوارئ بل على العكس وجدنا المواطنين فى هذه المدن يلعبون الكرة مع جنود القوات المسلحة فى أوقات الحظر كما تصدى السيى لمؤامرة الإخوان ودولة قطر على قناة السويس وأحبط محاولة الإخوان استنزاف الجيش فى سيناء.

ولم تستجب القوات المسلحة ممثلة فى الحرس الجمهورى لأوامر محمد مرسى بالتصدى القوى والعنيف للمظاهرات التى أحاطت بالقصر الجمهورى ولم تسقط قطرة دم واحدة لمتظاهر على يد القوات المسلحة ما أعاد الثقة الشعبية إليها.

المواجهات

وتوّالت المواجهات غير المعلنة بين الإخوان المسلمين والسيى قائد القوات المسلحة ولجأ محمد مرسى إلى الوقية بين السيى وقيادات الجيش وحاول استمالة بعضهم وقد بدأ الأمر باتصالات هاتفية يتلقاها قادة بالجيش من رئيس ديوان رئيس الجمهورية السفير رفاعة الطهطاوى ينقل خلالها على لسان الرئيس تقديره لهم ولأدوارهم ويسرب إلى كل واحد منهم أن الرئيس ينوى إجراء تغييرات فى صفوف قادة القوات المسلحة وتغيير وزير الدفاع ورئيس الأركان ويوحى لكل واحد منهم أنه فى دائرة اهتمام الرئيس فى محاولة من رئيس ديوان رئيس الجمهورية وبالطبع من وراءه الرئيس وجماعته لشق الصف فى المؤسسة العسكرية إلا أن مالم يعلمه هؤلاء أن القوات المسلحة مؤسسة قوية متماسكة ومترابطة والدليل على ذلك أن كل القادة الذين تلقوا اتصالات من ديوان الرئاسة سارعوا إلى الاتصال بالفريق أول عبد الفتاح السيى قائدهم وأبلغوه بما تم فى هذه الاتصالات بالتفاصيل ليتم إحباط مؤامرة الجماعة على المؤسسة العسكرية بصفة عامة وعلى السيى بصفة خاصة وقد سارع السيى إلى الرد بقوة وحسم عن طريق المتحدث العسكرى باسم القوات المسلحة

وعن طريق مصادر عسكرية لم تذكر اسمها للتأكيد على أن القوات المسلحة تدرك مثل هذه المحاولات البائسة وأنها ترفض أن يقوم رئيس ديوان الجمهورية بإجراء اتصالات مع قادة الجيش وأنها لن تصمت على مثل هذه المحاولات.

إذن فقد كشرت المؤسسة العسكرية وقائدها عبد الفتاح السيسي عن أنيابها محذرة من يقترب من عرينها ومهددة بالرد القاسى غير المتوقع ما اضطرت معه الجماعة ورئيس الجمهورية إلى التراجع سريعاً عن مثل هذه الاتصالات والمحاولات.

وقد أشارت كل الدلائل والمؤشرات إلى أن الرئيس محمد مرسى كان على شفا إعلان تغيير وزير الدفاع وتعيين غيره إلا أن عوامل كثيرة أدت إلى تراجع مرسى عن ذلك في اللحظات الأخيرة مرجحاً تنفيذه إلى وقت أكثر ملاءمة لم يكن ليتأخر كثيراً ليكرر محمد مرسى ما فعله مع طنطاوى وعنان لكن الرياح أنت بما لم تشته أو تتوقع سفينة الإخوان المسلمين وتغدى السيسي بمرسى وجماعته قبل أن يتعشوا هم به.

وبقراءة متعمقة للموقف والقرار التاريخى الذى اتخذته الفريق السيسى بالانحياز للشعب وإسقاط حكم الإخوان المسلمين وعزل الرئيس محمد مرسى يتبين لنا أن هذا القرار لم يكن متعجلاً ودون دراسة مستفيضة وشاملة وبعد تأن وترو وأنه كذلك لم يكن هو الخيار الوحيد أو الأول أمام السيسى برغم أنه كان موجوداً بقوة فى ذهنه حيث إن السيسى لم يدخر جهداً فى إرجاع الإخوان المسلمين أو محمد مرسى عن مخططاتهم ولم يبخل عليهم فى بذل النصح والإرشاد لكنهم كانوا قد صموا آذانهم وعموا أعينهم عن كل شىء اللهم إلا تنفيذ مخططاتهم على مصر وتحويلها إلى مجرد ولاية فى دولة الخلافة التى كانوا يحملون بها. وقد كشف الفريق أول عبد الفتاح السيسى بعد ٣٠ يونيو و٣ يوليو عن الكثير من المفاجآت والأسرار والجهود التى قام بها والتقديرى الاستراتيجية التى تولتها القوات المسلحة عن خطورة الأوضاع الداخلية والسيناريوهات الخطيرة التى كانت تحوم فى المشهد بسبب ممارسات وسياسات الإخوان المسلمين وقرارات الرئيس محمد مرسى وبرغم كل هذه التقديرى الاستراتيجية فإن مرسى لم يعرها أى اهتمام كما أنه أحبط كل محاولات وتحركات السيسى للتقرب بين مختلف القوى السياسية والدعوات التى أطلقها للحوار مع التيارات والقوى والأحزاب السياسية المعارضة والغاضبة من هيمنة وسيطرة الإخوان على كل مفاصل الدولة وتهميش القوى الأخرى وحكى السيسى أنه برغم موافقة الرئيس

على دعوة السيسى للقوى السياسية للحوار للخروج من الأزمة التي تمر بها مصر فإنه تلقى اتصالاً فى اللحظات الأخيرة من الرئاسة تطالبه فيه بالتراجع عن هذه الفكرة وهو ما دعا القوات المسلحة للإلتصال بالشخصيات التي كانت فى طريقها إلى المقر الذى كانت ستتم فيه جلسات هذا الحوار الوطنى.

وأمام تجاهل وعدم الاستجابة لنصائح ومحاولات ودعوات السيسى والمؤسسات العسكرية لرأب الصدع فى العلاقة بين الإخوان والنظام الحاكم من جانب والقوى السياسية والحزبية والشبابية بل والشعب من جانب آخر كان قرار السيسى والمؤسسة العسكرية بالانحياز للشعب والبدء الفورى فى إنهاء الأمر.

وبدون الدخول فى تفاصيل ستكشفها الأيام القادمة فإن السيسى تعاون مع القوى السياسية ومع الحملات المناوئة للإخوان ومرسى وفى مقدمتها حملة "تمرد" التي لم تكن بعيدة عن حضان القوات المسلحة والمخابرات الحربية التي وفرت لها كل السبل والوسائل المساعدة لتحقيق الهدف بعزل محمد مرسى وإسقاط حكم الإخوان المسلمين.

مع التصاعد الخطير فى الأحداث واندفاعها نحو الصدام ووقوفها على شفا الحرب الأهلية كان نداء أو تحذير أو تهديد أو دعوة -سمها ما شئت- السيسى والمهلة التي أعطاها لكل القوى السياسية للتحاور وإنقاذ البلاد من مصير خطير ونفق مظلم لن تخرج منه ومع عدم ورود أى إشارات من الرئاسة والرئيس محمد مرسى أو جماعة الإخوان المسلمين ومكتب الإرشاد جاءت المهلة الثانية والأخيرة وعندما تكرر نفس الموقف جاء القرار الذى دخل به السيسى التاريخ وقبله دخل قلوب المصريين وتربع فيها لا ينازعه أحد فى الشعبية والحب والتأييد ثم جاءت استجابة الشعب الذى خرج بالملايين لتلبية لدعوة السيسى ثم الخروج الثانى ومنحه التفويض فى مشهد تاريخى لم تشهده الكرة الأرضية إلا فى مصر المحروسة ومع الفريق السيسى فى أكبر. استفتاء على شعبية الزعيم والبطل الشعبى الجديد الذى أعاد للمصريين ذكريات الزعماء التاريخيين الخالدين وأعاد ضخ دماء الحيوية والحياة فى شرايين المصريين بعد أن تجمدت على يد الإخوان المسلمين ورئيسهم محمد مرسى.

الرجل الخطير

فى حديث تليفزيونى قبل ساعات من إنتخابات الرئاسة.. يكشف السيسى بعض الأوراق الغامضة وإن احتفظ بالكثير منها.. يمكن الإعلان عنها فى الوقت المناسب ويرى

الناس رجل الجيش بعد أن ارتدى البدلة المدنية.. وراح يخاطب الجماهير بعقلية رجل الدولة.. وقال صراحة الجيش مؤسسة وطنية تقوم على علم وانضباط.. وهدفها في المقام الأول حماية أمن الوطن داخلياً وخارجياً.. واعترف السيسی بأن الإخوان كانوا الأكثر جاهزية للوصول إلى الحكم وقد وصلوا لكنهم لم يكونوا أبداً جاهزين للنجاح.. وقد اختارهم الشعب على عقد الدستور والقانون ولكنهم داسوا على كل شيء.. فقد اعتمدوا على الكذب والشائعات والتحالفات حتى لو كانت مع الشيطان لأن الغاية عندهم تبرر كل الوسائل.. يقول الجد للحفيد محاولاً رسم صورة القائد من زاوية أخرى وحتى يدرك الحفيد أن الأقوال تتضارب وتختلف حتى على لسان الشخص الواحد من وقت لآخر.. وعلى الإنسان العاقل أن يستخلص النتائج فقد.

وصفت مجلة "نيوزويك" الأمريكية عبر موقعها الإلكتروني عبد الفتاح السيسی بأنه "الجنرال الهادئ" وذلك في تقرير مطول قالت فيه إن مصر صار لديها "رجلاً قوياً" جديداً بعد عزل الرئيس السابق محمد مرسى وإن صورته انتشرت بين أيدي المصريين وفي كل مكان أكثر من الهدايا السياحية التذكارية لـ"أبي الهول".

وأكملت "نيوزويك" حديثها عن السيسی حيث قالت إن شخصيته "مبهمة" تماماً مثل نظارته الشمسية الداكنة وكثيراً ما تتم مقارنته بالزعيم ذى الشخصية الكاريزمية جمال عبد الناصر وبرغم ذلك لا يعرف عنه الكثيرون أى شيء عن خلفيته أو عائلته خاصة أنه نادراً ما يتحدث للصحفيين كما أن أصدقاءه المقربين يترددون فى إجراء أى حوارات عنه. وفى بحثها عن أقربائه بدأت "نيوزويك" من ذلك المتجر فى خان الخليلي والذي يسمى "السيسی" ووجدت أنه نشأ فى حى الجمالية فى نفس الأزقة والحوارى بين المساجد والتي كتب عنها الأديب المصرى صاحب جائزة نوبل نجيب محفوظ فى ثلاثيته المعروفة: بين القصرين وقصر الشوق والسكرية مضيئة أنه نشأ فى أسرة متدينة كأغلب الأسر المصرية وفى المتجر التابع للعائلة والذي يديره شخص يدعى "حسين على" قال الأخير إنه قد بلغ بعدم الحديث حول السيسی الذى يعرفه منذ سنوات وأضاف: "لستم فى حاجة لى للحديث عن عبد الفتاح السيسی وإذا تكلمت عن حسين خليل السيسی فأنا أتكلم عن كل أولاده لأنهم نسخ منه متابعاً: كان يحب القراءة فى التاريخ والقانون والاستماع إلى أغانى أم كلثوم القوية والوطنية كما كان يعرف كبار رجال الدين الذين كانوا

زيائنه فى متجره وفى الوقت ذاته أصدقاءه موضحاً أن والد السيسى لديه خمس بنات وثلاثة أبناء كلهم ذوو تعليم جامعى.

وأسهب حسين على فى الحديث حول والد السيسى حيث قال: عبد الفتاح السيسى يشبه والده كثيراً حيث كان والده ملهماً للكثيرين من حوله وعندما ينظر إلى عينيك كان يعرف ما تود قوله تماماً كان يعرف كيف يوصل رسائله عندما يتحدث وإذا تحدث لطبيب فإنه يتحدث إليه بلغته وعندما يتحدث لعامل بسيط فإنه يتحدث كأنه مثله تماماً وقد أخذ عنه أبناؤه ذلك.

وتابع إن كل ابن من أبنائه اتخذ طريقاً يشبه أباه فيه: "أحد أبنائه عمل بالتجارة مثل أبيه وهو حسن وآخر صار قاضياً وهو أحمد والثالث أصبح قائداً فى الجيش وهو عبد الفتاح السيسى حيث كان حسين السيسى مثل قائد الجيش كل شىء فى موعده وكل شىء بنظام ويقول تامر شقيق حسين على والذى يعمل فى المتجر معه فإن عبد الفتاح السيسى نادراً ما يمزح بينما والده كان يحب إلقاء الدعابات والنكات كان من الممكن أن يجلس عبد الفتاح فى المكان طويلاً دون أن تصدر عنه سوى كلمة واحدة أو كلمتين فقط.

"الجميع بما فى ذلك الأولاد زاروا المتجر حيث تعلم الأب ومارس حرفته الشاقة مع عدد لا يحصى من قطع صغيرة من الصدف يدمجها فى الخشب المنحوت بدقة ويخلق قشرة قزحية الألوان من أنماط متشابكة معقدة كلها من صنع عقل الأب" هكذا أضاف تامر وقال "الأب كانت لديه رؤية صنع نماذج جديدة ولم يكتف برؤية النماذج المعتادة ويصنع مثلها بل كان مجدداً وصبوراً.

وتتبع "نيوزويك" أسرة عبد الفتاح السيسى حيث حاورت شقيقه أحمد السيسى الذى وافق على إجراء الحوار على مضمون فقال إن عبد الفتاح السيسى على العكس من الرئيس السابق حسنى مبارك والذى كان معروفاً هو وأسرته جميعاً لدى المصريين فإن عبد الفتاح السيسى استطاع أن يحمى خصوصية أقرابه فهو لديه أربعة أبناء ثلاثة أولاد وبنات وزوجته ترتدى الحجاب التقليدى وهو ما تقوم به النساء المصريات حالياً بشكل طبيعى على عكس نساء الجيل السابق وتحدث أحمد عن شقيقاته قائلاً الشقيقات الخمس وكذلك زوجة السيسى لا يعملن مؤكداً أن "نساءنا لا تعملن يبقين فى المنزل لرعاية الأطفال" مضيفاً أنهم جميعهم فى مهن طموحة حيث إنهم خرجوا من أسرة "تقود ولا تقاد".

وتمضى "نيوزويك" قدماً في البحث في تاريخ عبد الفتاح السيسي لتقول إنه "في ٢٠٠٦ اختير السيسي لحضور الكلية الحربية الأمريكية خلال فترة مشحونة في الشرق الأوسط وفي الكلية التاريخية في بنسلفانيا وجد السيسي نفسه في مواجهة ضباط الجيش الأمريكيين الخارجيين للتو من حرب العراق التي كانت تفشل وتزداد خسائرها للأمريكيين والعراقيين على حد سواء بينما ينفق الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن ملياري ونصف المليار دولار أسبوعياً على تلك الحرب ووفقاً لشريفة زهور الباحثة وإحدى أساتذة السيسي في الكلية الحربية الأمريكية فإن السيسي كان دائماً على استعداد للنقاش الهادئ وليس العدائى فى الوقت الذى كان يدخل فيه الجنود الأمريكيون فى نقاش حاد وساخن مع نظرائهم العرب مضيقة أنه كان يمكن أن يغضب لكنه كان يعرف كيف يتحكم فى نفسه ويختار عدم الرد فى الوقت الذى يقوم الآخرون فيه بذلك فيكن هادئاً لأنه أكثر تأملاً وانتظراً ومشاهدة.

١١ صفحة

وتكمل شريفة زهور أن السيسي آنذاك قدم ورقة بحثية من ١١ صفحة بعنوان "الديمقراطية فى الشرق الأوسط" فى الوقت الذى يؤمن فيه الأمريكيون بالحياة والحرية والسعى لتحقيق السعادة "فإن الثقافة الإسلامية تتمسك بمبادئ العدالة والإنصاف والمساواة والوحدة والإحسان" وبينما ينظر الأمريكيون إلى الآباء المؤسسين لدولتهم فإن المسلمين يعتزون بذكرىات دولة الخلافة القديمة وهذا لا يعنى قيام دولة ثيوقراطية ولكن دولة ديمقراطية بمفاهيم إسلامية وكان هذا ما كتبه السيسي فى ورقته البحثية وأضافت زهور أنه "يعرف الكثير عن التراث المصرى والإسلامى ويفخر به" متابعة أنه "ربما ليس من المستغرب الآن أن هذا القائد الفخور أمريكى التدريب لا يحتاج أو يحب أمريكا ويجعل ذلك واضحاً فمنذ عزل مرسى وجد السيسي أن أمراء الخليج أكثر سخاء من الولايات المتحدة حيث ضخت المليارات من الدولارات فى صورة مساعدات من المملكة العربية السعودية والإمارات، الذين لديهم أجندتهم الخاصة فى مصر وفى رأى السيسي الخاص فإن مصر حصلت على القليل من الدعم من الولايات المتحدة عندما تحول مرسى والإخوان إلى الاستبدادية وتخريب الإدارة الشعبية كما قال بصراحة فى حوار الأخير مع واشنطن بوست فى رسالة واضحة إلى البيت الأبيض والبتناجون ووزارة الخارجية الأمريكية وربما أصدقائه القدامى فى الجيش الأمريكى مؤكداً أن مصر تقود ولا تقاد.

وعادت "نيوزويك" لتكمل الحكاية لتقول إنه بعد إقالة طنطاوى وجد المصريون وجهاً أصغر وأقل شهرة فى موقعه وهو عبد الفتاح السيسى الذى كان مديراً للمخابرات الحربية والذى تقدم للكاميرات ليدافع عن الاتهامات التى وجهت للجيش فى الفترة الانتقالية فيما يعرف بقضية كشوف العذرية، مؤكدة أنه وفقاً لعدد من المصادر المطلعة فإن طنطاوى هو من اختار السيسى خلفاً له. السيسى الآن يثبت أنه من الممكن أن يكون له دورا على المشهد السياسى المصرى الجديد متابعه أنه فى الوقت الذى انتقلت فيه البلاد نحو انتخابات ٢٠١٢ أصبح من الواضح بشكل متزايد أن جماعة الإخوان المسلمين لديها عملية سياسية أفضل وهى من ستفوز بالرئاسة وحينها أدرك رجال الأعمال النفعين وكذلك ضباط الجيش أنهم مضطرون للجوء إلى التفاوض مع أعدائهم السابقين حول كيفية تأثير انتصار الإخوان فى الجيش مشيرة إلى أن مرسى كان ممثل الإخوان فى تلك المحادثات فيما تكلم السيسى نيابة عن الضباط.

وتابعت "نيوزويك" أنه بعد انتخاب مرسى فى صيف ٢٠١٢ بدأ فى تغيير ديناصورات الجيش القدامى وما أثار العجب هو عدم مقاومة القيادة العليا لقراراته دون أن يدركوا أنه كان تغييراً فى الأجيال أو ثورة داخل المؤسسة العسكرية نفسها بقيادة السيسى الذى عينه مرسى وزيراً للدفاع ظناً منه على ما يبدو أنه لا هو ولا غيره من القادة الجدد للجيش سوف ينقلبون عليه إنه يحترم امتيازاتهم الإقتصادية وأياً كانت أهدافه الأصلية فإن السيسى بدأ يناور للوصول لمنصب أكثر طموحاً بكثير وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه مرسى يحصل على المزيد من السلطات الديكتاتورية ويعمل على إقصاء معارضيه ويحصن نفسه ضد أحكام القضاء ما أدى إلى اندلاع أعمال شغب دموية وبدا أن البلاد تذهب مرة أخرى نحو الفوضى.

